المحاضرة رقم 05

المفضليات

المؤلف: هو أبو عبد الرحمن بن محمد يعلى الضبي، من أصل عربي، ولد في فارس حيث كان أبوه من موظفي الديوان وكان شيعياً، وهو الذي أجاز الإمام إبراهيم المسمى بالنفس الزكية، وكان المفضل من الرواة المشهورين، ويعد من فحول الكوفة في الرواية، فكان من تلاميذه ابن الأعرابي والفراء وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري، مات في الكوفة سنة 170هـ-786م في بدء خلافة الرشيد وهو الذي عمل الأشعار المختارة للمهدي المسماة بالمفضليات، كان راوية للأدب والأخبار، موثقاً في روايته. قال ابن سلام: أعلم من ورد علينا بالشعر وأصدق من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي 47 وعرف بصدقه فيما يروي واشتهر بمعرفة الأنساب والأيام ورواية الشعر.

والمفضليات هي مجموعة أشعار اختارها المفضل بن محمد بن يعلى الضبي^[1] كأحسن أشعار العرب ليدرسها لابن أبي جعفر المنصور، اليافع، المهدي بن المنصور، الخليفة التالي. اختار المفضل 126 أو 128 قصيدة - وبينها أيضاً مقطوعات - لسبعة وستين شاعراً. وسبعة وأربعون من هؤلاء الشعراء كانوا من شعراء الجاهلية، وبينهم المرقشان الأكبر والأصغر وهما أقدم الشعراء المعروفين، ونصرانيان اثنان هما جابر بن حنّى التغلبي، ومن شعرائه كذلك أربعة عشر شاعراً من المخضرمين الذين ولدوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، ثم ستة فقط من المسلمين.

ويذكر صاحب الفهرست أن ابن الأعرابي روى مجموعة المفضل 128 قصيدة، نقص منها اثنتين أبو محمد القاسم بن محمد الأنباري.

وسمى المفضل مجموعته في الأصل: كتاب الاختيارات؛ ولكنها سميت بعد ذلك، نسبة إلى جامعها، بالمفضليات. وفي أوروبا طبعت كراسة من المفضليات في ليزيغ عام 1885 ثم مع ترجمة إنكليزية في جزئين عام 1921 تبعهم فهرست كجزء ثالث عام 1924

ثم نشر جزء من المفضليات (40 قصيدة) مع شرح ابن الأنباري بالعربية في اسطنبول عام 1308 هـ ثم في القاهرة عام 1324 هـ/ (1906م) انظر مقالاً عن هذه الطبعة لهافنر وعام 1926

تعتبر المفضليات من أقدم كتب الاختيارات الشعرية، وقد سميت بالمفضليات نسبةً إلى جامعها المفضل الضبي أحد أئمة القراء المتوفى سنة 164 هـ وسماها الاختيارات ولم يرتبها على أبواب خاصة، ولا التزم فيها أغراضاً معينة، قال ابن النديم بعدما ذكر أن الضبي ألف الكتاب للمهدي العباسي: (وهي 128 قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواة، والصحيحة التي رواها عنه ابن الأعرابي) ومجموع شعراء المفضليات 67 شاعراً منهم 47 شاعراً من شعراء الجاهلية و14 من المخضرمين و6 من الإسلاميين. قال المرزوقي: (وقع الإجماع من النقاد على أنه لم يتفق في اختيارات المقطعات أنقى مما جمعه أبو تمام، ولا في اختيارات المقصودات أوفى مما دونه المفضل ونقده^[14]). (طبع الجزء الأول منه في (ليبزج) سنة 1885م بعناية (توربكه) ثم طبع كاملاً بمصر سنة 1324 هـ بتصحيح وتعليق أبي بكر بن عمر الداغستاني. وله شروح أشهرها: شرح أبي بكر الأنباري وقد طبع قديماً في المطبعة الكاثوليكية في أكسفورد عام 1808م بتحقيق جريس لايل و(شرح التبريزي) المتوفى سنة 502 هـ باشر شرحه بعد فراغه من شرح ديوان الحماسة، ومنه نسخة بخطه في دار الكتب الوطنية بتونس، فرغ منها سنة 486 هـ وبداخلها زيادات في طيارات بخطه أيضاً.

سبب جمعها

يروى أن المفضل الضبي قد اشترك في ثورة إبراهيم بن عبد الله على أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، فلما أخفقت الثورة أُلقي القبض عليه، ولكن أبا جعفر المنصور عفا عنه و ألزمه تعليم ابنه المهدي، فوقع جمعه هذا على تلك المفضليات ، وهناك رواية أخرى بأن إبراهيم بن عبد الله كان مختبئاً عند المفضل و في أثناء ذلك اختار عددا من القصائد مما تضمه مكتبة المفضل وقدمها إليه فأتم المفضل علمها باقي كتابه.

كتاب الاختيارين

كتاب الاختيارين هو مجموع القصائد التي اختارها (المفضل الضبي) مع القصائد التي اختارها (الأصمعي) والتي جمعها (الأخفش) في هذا الكتاب. فقد أشار الخليفة (أبو جعفر المنصور) على

(المفضل الضبي) أن يختار أجود القصائد ليدرب بها المهدي ويعلمه روائع الشعر وخالصه. فكان أن اختار (المفضل) قصائد نسبت إليه وسميت (المفضليات).

وتقبل العلماء هذه القصائد تقبلاً حسناً ورووها شيوخاً وتلاميذ وعلقوا عليها شروحاً وزيادات و يبدو أن الخليفة) هارون الرشيد (راقه صنيع (المنصور والمفضل) فإذا هو يكل تأديب ابنه الأمين إلى الأصمعي ويدرب بها وقد استجاب الأصمعي لهذه الرغبة وجمع قصائد نسبت إليه وسميت الأصمعيات.

ثم جاء الأخفس الأصغر (فجمع بين الأصمعيات والمفضليات في كتاب واحد وعلق عليها شرحاً، يفسر بعض الغريب ويوضح بعض المعاني الغريبة فكان ما سمي بكتاب (الاختيارين) وقد شاع ذكر اختيارات المفضل والأصمعي وأعجب بها جهابذة الشعر وأشادوا بمنزلتها، لأنها تمثل خبرة عالمين كبيرين أجمعوا على صحتها وتقديمها.

منهج الكتاب ومباحثه: على كل، هذا خلاف شكلي لا يمس جوهر الموضوع، فالقصائد التي تتضمنها هذه المجموعة أصيلة، وأهل للثقة والاعتماد عليها، سواء نسب اختيارها إلى المفضل، أو إليه والأصمعي، فكلاهما ثقة، أمين، صادق في روايته.

وهي لسبعة وستين شاعراً معظمهم من الجاهليين، فمنهم ستة شعراء إسلاميون وأربعة عشر شاعراً من المخضرمين الذين ولدوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، والباقون وهم سبعة وأربعون شاعراً كلهم جاهليون، عاشوا وماتوا قبل الإسلام.

وقد لقيت المفضليات اهتماماً كبيراً من العلماء والأدباء والباحثين في شتى العصور، فكان لها شهرة عظيمة في الأوساط الأدبية والعلمية، وقام بدراستها كثير من الأدباء العرب والمستشرقين، ومن أهم شروحيها شرح ابن الأنباري وقد نشره لایل Lyall مع ترجمة إنجليزية في جزأين، وقام بعمل فهرست لها في جزء ثالث المستشرق بيفان Bevan، كما شرحها المرزوقي المتوفى سنة 421-1030 والتبريزي المتوفى سنة 502هـ.

أهمية المفضليات

تعد أقدم مجموعة شعرية وصلت إلينا هي مجموعة المفضليات، وهي بمثابة مرآة لحياة العرب انعكست عليها عاداتهم وأخلاقهم وشيمهم العربية، وما خاضوه من حروب ومعارك، وبذلك حفظت لنا أشعارا كثيرة وقديمة، وكانت عرضة للضياع لولا اختيار المفضل الضبي لها وتصنيفه لها في كتابه. وقد طبعت مرارا في القاهرة وبيروت وأجود طبعتها تلك التي حققها أحمد شاكر وعبد السلام هارون.

نموذج من الكتاب:

قال المرقش الأكبر: المفضليات، 408-407/1

- 1 - (يا صاحبي تلوّما لا تعجلا*** إن الرّحيل رهين أن لا تعذّلا)
- 2 - (فلعلّ بطأكما يفرط سينا*** أو يسبق الإسراع سيبا مقبلا)
- 3 - (يا راكبا إما عرضت فبلغن*** أنس بن سعد إن لقيت وحرّملا)
- 4 - (لله دركّما ودرأبيكما*** إن أفلت العفلي حتى يقتلا)
- 5 - (من مبلغ الأفوام أن مرّقشا*** أمسى على الأصحاب عبنا مثقلا)
- 6 - (ذهب السباع بأنفه فتركه*** أعنى عليه بالجبال وجيئلا)
- 7 - (وكأنما تردّ السباع بشلوه*** إذ غاب جمع بني ضبيعة منهلا)

وقال بشامة بن الغدير: المفضليات، 222/1

- 1 - (لن الديار عفون بالجنع*** بالدوم بين بحار فالشرع)
- 2 - (درست وقد بقيت على حجج*** بعد الأنيس عفوتها سبع)
- 3 - (إلا بقايا خيمة درست*** دارت قواعدها على الربع)
- 4 - (فوقفت في دار الجميع وقد*** جالت شؤون الرأس بالدمع)
- 5 - (كعروض فياض على فلج*** تجرى جداوله على الزرع)
- 6 - (فوقفت فيها كي أسائلها*** غونج اللبان كمطرّق النبع)

- 7 - (أُنْضِيَ الرِّكَابَ عَلَى مَكَارِهَا***بِزَفِيفٍ بَيْنَ الْمَشِيِّ وَالْوَضْعِ)
 8 - (بِزَفِيفٍ نَقْنَقَةٍ مُصَلَّمَةٍ***قَرَعَاءَ بَيْنَ نَقَانِقِ قُرْعِ)
 9 - (وَبَقَاءِ مَطْرُورٍ تَخَيَّرَهُ***صَنَعُ لَطُولِ السَّنِّ وَالْوَقْعِ)
 10 - (وَيَدَيْ أَصَمِّ مُبَادِرٍ مَهَلًا***قَلِقَتْ مَحَالَّتُهُ مِنَ النَّزْعِ)
 11 - (مِنْ جَمِّ بِئْرٍ كَانَ فُرْصَتُهُ***مِنْهَا صَبِيحَةَ لَيْلَةِ الرَّيْحِ)
 12 - (فَأَقَامَ هَوَذَلَةَ الرَّشَاءِ وَإِنْ***تُخْطِئُ يَدَاهُ يَمُدُّ بِالضَّبْعِ)
 13 - (أَبْلُغْ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ فَهَلْ***فِيكُمْ مِنَ الْحَدَثَانِ مِنْ بَدْعِ)
 14 - (أُمُّ هَلْ تَرُونَ الْيَوْمَ مِنْ أَحَدٍ***حَصَلَتْ حَصَاةُ أَخٍ لَهُ يُرْعِي)
 15 - (فَلَيْنُ ظَفَرْتُمْ بِالْخِصَامِ لِمَوْلَاكُمْ***فَكَانَ كَشْحَمَةِ الْقَلْعِ)
 16 - (وَبَدَأْتُمْ لِلنَّاسِ سُنَّتَهَا***وَقَعَدْتُمْ لِلرِّيحِ فِي رَجْعِ)
 17 - (لِتَلَاوَمَنَّ عَلَى الْمَوَاطِنِ أَنْ***لَا تَخْلِطُوا الْإِعْطَاءَ بِالْمَنْعِ)

المحاضرة رقم 06

الأصمعيات

المؤلف: هو شيخ رواة الأدب الإمام الثبت الحجة الثقة التقي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي أصمع الباهلي البصري.

ولد حوالي سنة 122 أو 123 هـ، ونشأ بالبصرة فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة وأخذ عن فصحاء الأعراب وأكثر الخروج إلى البادية وشافه الأعراب وساكنهم وتعلم من خلف الأحمر نقد الشعر ومعانيه وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرة إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة فقال له رجل: منها البيت والبيتان. فقال: ومنها المائة والمائتان. وعمر حتى أدرك زمن المأمون. وأراد المأمون أن يقدمه إليه فاعتذر بكبر السن. ومات سنة 216 هـ، وله مؤلفات كثيرة.

الأصمعيّات كتاب لأبي سعيد عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي الشهير بالأصمعي، وهو مجموعة في اختيار الشعر العربي وعلى نسق المفضليات يضم مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي. والكتاب يضم اثنتين وسبعين قصيدة في 1163 بيتاً. لواحد وستين شاعراً. سار الأصمعي على نهج المفضليات بالاهتمام بالشعر الجاهلي. وعدد المقطعات عنده كبير، وأطول قصائد الأصمعيّات لم تتجاوز أربعة وأربعين بيتاً، بينما كانت أطول القصائد في المفضليات تتألف من 108 أبيات.

تُعتبر الأصمعيّات المجموعة الشعرية الثانية بعد المفضليات وتعدّ متممة لها، وقد أُطلق عليها هذا الاسم من قبل تلاميذ الأصمعي، شأنها شأن المفضليات قبْلها، تمييزاً لها عن المفضليات، ومع ذلك وقع اختلاط بينهما وحدث التداخل بين بعض أشعارهما، وقد قام الوردّاقون في أحيان كثيرة بجمع المفضليات والأصمعيّات في كتاب مخطوط واحد فالتبس الأمر على بعضهم فعُدّت قصائد من المفضليات على أنها أصمعيّات.

العناية بالكتاب

طبع الكتاب لأول مرة في مدينة لايبزغ بألمانيا سنة 1902 بعناية المستشرق وليم بن الورد، كما كان يسمي نفسه. إلا أنه أسقط 19 قصيدة منها، بحجة أنها مكررة في المفضليات، ووقعت في نشرته هذه تصحيحات كثيرة، مما حدا بأحمد شاکر وابن أخته عبد السلام هارون إلى إعادة طباعتها كاملة سنة 1955 في 212 صفحة. وقد قدما لكل قصيدة بما يكشف عن جوها وملابساتها، مع ترجمة الشعراء، وفهرسة الكتاب فهارس دقيقة ومتنوعة. ونشر السيد معظم حسين في الهند سنة 1938 قطعة من كتاب الاختيارين تضم قصائد مفضلية وأصمعيّة، ليست في مطبوعتهما كما ألفت العديد من الكتب حول هذا الكتاب.

منهج الكتاب ومباحثه:

الأصمعيّات كتاب على نسق المفضليات، يضمّ مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي، تبلغ اثنتين وتسعين قصيدة ومقطوعة، لواحد وسبعين شاعراً، منهم أربعة وأربعون جاهلياً، وهو الأغلبية، وأربعة عشر مخضرمًا، وستة شعراء إسلاميين، وسبعة مجهولون.

ومن مجموع هؤلاء الشعراء أربعة وخمسون شاعراً أورد الأصمعي لكلّ منهم نموذجاً واحداً، وأربعة عشر شاعراً أورد لكلّ منهم نموذجين، وشاعران أورد لكلّ منهما ثلاث قصائد، وشاعر واحد أورد له أربع قصائد وهو خُفّاف بنُ نُدبة.

وتتراوح الأبيات الشعرية في جميع القصائد والمقطعات ما بين بيتين وثلاثة وأربعين بيتاً، ومجموع أبيات الأصمعيّات هو 1442 ألف وأربعمائة واثنان وأربعون بيتاً.

ومهما يكن فإنّ الأصمعيّات لم تبلغ تلك الشهرة التي حظيت بها المفضليات، ولا أدلّ على ذلك من أنّها لم تظفر في عهد الشروح باهتمام الشراح مثلما حدث مع المفضليات. على أنّ الأصمعيّات تشترك مع نظيرتها (المفضليات) في خلوّها من أيّة إشارة إلى أسباب الاختيار ووجه التفضيل بين القصائد لما تضمّنته من شعراء.

نموذج من الكتاب:

- 1 - (يا هندُ يا أختَ بني الصاردِ ... ما أنا بالباقي ولا الخالدِ)
- 2 - (إنّ أمسٍ لا أملكُ شيئاً فقدُ ... أملكُ أمرَ المنسرِ الحاردِ)
- 3 - (بالضابغ الضّابِطِ تقريبه ... إذ وُنت الخيلِ وذو الشاهدِ)
- 4 - (عَبَلِ الذراعينِ سليمِ الشَّظَا ... كالسيدِ تحتِ القِرّةِ الصاردِ)
- 5 - (يطعنُ في المسحَلِ حتّى إذا ... ما بلغِ الفارسِ بالساعدِ)
- 6 - (جد سُبوحاً غيرَ ذي سقطةٍ ... مُستفرغٍ ميعتهُ واعدِ)

المحاضرة رقم 07

جمهرة أشعار العرب

المؤلف: لم يرد في كتب التراجم ما يشير إلى حياة المؤلف، ولذلك فهذا الكتاب هو ما تقوم عليه مكانة أبي زيد القرشي العلمية.

جمهرة أشعار العرب كتاب لأبي زيد القُرشيّ، وهو مجموعة في اختيار الشعر العربي الجاهلي والمخضرم والإسلامي قد قسم الكتاب إلى سبعة أقسام وكل قسم سبع قصائد وجعل كل الأقسام متدرجة من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي.

منهج الكتاب ومباحثه:

المقدمة:

افتتح أبو زيد القرشي كتابه بقوله "هذا كتاب جمهرة اللفظ المختلف ومجاز المعاني وقارن المؤلف بين لغة الشعر ولغة القرآن والعمالقة وبعض العرب البائدة مثل قوم عاد وثمود وهذا جعل مقدمة الكتاب يشوبها الروح الغيبية التي تنسب الشعر إلى قوى خارقة للطبيعة أو إلى أناس من العصور القديمة دون إدراك واعي لنشأة اللغات وتطورها.

أورد القرشي رأي النبي محمد في الشعر وأنه كان يسمعه ويجيزه ثم ذكر الأسباب في تعيين طبقات فحول الشعراء والمفاضلة بينهم وذكر بعض أخبارهم. والمقدمة تقع في حوالي ثمانين صفحة؛ يمكن أن نصنّفها من أساسيات معايير النقد القديم في الشعر العربي.

الأشعار المختارة:

القسم الأول يختص بالطبقة الأولى والقسم الثاني بالطبقة الثانية وهكذا.

أطلق على كل طبقة اسم خاص على النحو التالي:

- الطبقة الأولى : وهم أصحاب المعلقات وقد ذكر معلقات كل من امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني ولبيد بن ربيعة والأعشى وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد وعنتر بن شداد
- الطبقة الثانية: أصحاب المجمرات وقد ذكر قصائد كل من عبيد بن الأبرص وعدي بن زيد وبشر بن أبي خازم وأمّية بن أبي الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب.
- الطبقة الثالثة: أصحاب المنتقيات وقد ذكر في قصائد كل من المسيب بن علس والمرقش الأصغر والمهلهل بن ربيعة والمتلمس وعروة بن الورد ودريد بن الصمة والمتنخل الهذلي.
- الطبقة الرابعة: أصحاب المذهبات وهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ومالك بن عجلان وقيس بن الخطيم وأحيحة بن الحلاج وأبو قيس بن الأسلت وعمرو بن امرئ القيس.
- الطبقة الخامسة: أصحاب المراثي وقد ذكر منهم أبو ذؤيب الهذلي ومحمد بن كعب الغنوي وأعشى باهلة وعلقمة الحميري وأبو زيد الطائي ومتميم بن نويرة ومالك بن الريب التميمي.
- الطبقة السادسة : أصحاب المشوبات وهم الشعراء المخضرمين وقد ذكر منهم نابغة بن جعدة وكعب بن زهير والقطامي والحطيئة والشماخ بن ضرار وعمرو بن أحمر الباهلي وتميم بن مقبل.
- الطبقة السابعة: أصحاب الملحمتات وقد ذكر منهم : الفرزدق وجريير بن بلال والأخطل وعبيد الراعي وذو الرمة والكميت والطرماح بن حكيم الطائي.

عيوب جمهرة أشعار العرب:

- 1- لم يذكر القرشي سبب تقدم كل طبقة على غيرها من الطبقات ولم يذكر سبب ابتدائه بالمعلقات.
- 2- جعل المراثي مجموعة قائمة بذاتها لأن الطبقات الأخرى بحسب المستوى الفني وهذه الطبقة الوحيدة التي وضعت بحسب الموضوع.
- 3- لم يذكر القرشي الفروق الفنية الموجودة في الطبقات السبع ولم يذكر أي تعليق يبين سبب تفضيل قصيدة على أخرى ولم يوازن بين القصائد.

قيمة الكتاب:

طبع كتاب جمهرة أشعار العرب لأول مرة في مطبعة بولاق بمصر عام 1311 هجري ثم طبعها دار صادر ودار بيروت سنة 1967 ثم طبعة بتحقيق علي محمد البجاوي سنة 1967 م.
نموذج من الكتاب:

كعب بن زهير بن أبي سلمى البسيط
بَانتُ سَعَادُ، فَقلبي اليَوْمَ مَتَبُولُ، ... مُتَيِّمٌ إِثرها، لَمْ يُفَدَ، مَكْبُولُ
وما سَعَادُ، غَدَاةَ البَيْنِ، إِذ رَحَلُوا، ... إِلاَّ أَغنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ، مَكحول
هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً، عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً، ... لا يَشْتَكِي قِصْرُ مَنها، ولا طُولُ
تَجَلو عوارِضَ ذي ظَلَمٍ إِذا ابْتَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ
شُجَّتْ بِذي شَبَمٍ مِِن مَّاءِ مَحْنِيَّةٍ، ... صافٍ بِأَبْطَحٍ، أَضْحَى، وَهُوَ مَشْمول
تَنفِي الرِّياحِ القَدَى عنه، وَأفرطَه ... مِِن صَوْبِ سارِيَّةٍ بِيضٌ يَعاليل
أَكْرَمُ بِها خُلَّةٌ، لو أَنها صَدَقَتْ ... مَوْعُودَها أو لو اَنَّ النَصْحَ مَقْبُولُ
لَكِنها خُلَّةٌ قد سِيطَ مِنْ دَمِها ... فَجَعُ، وَوَلَعُ، وإِخلافٌ، وَتَبَدِيلُ
فَما تَدُومُ على حَالٍ تَكُونُ بِها، ... كما تَلَوْنَ في أَثوابِها الغُولُ
وَلا تَمَسُّكَ بِالْعَهْدِ الذي رَعَمَتْ، ... إِلاَّ كما يَمَسُّكَ المِاءُ الغَرابِيلُ
كانتُ مَواعِيدُ عَرقوبٍ لَها مِثْلاً، ... وما مَواعِيدُها إِلاَّ الأباطيلُ

المحاضرة رقم 08

الكامل للمبرّد

المؤلف:

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف بالمبرّد ينتهي نسبه بثمانية، وهو عوف بن أسلم من الأزد). ولد 10 ذو الحجة 210 هـ/825م، وتوفي عام 286 هـ/899م (أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

كان المبرّد واحدا من العلماء الذين تشعبت معارفهم، وتنوعت ثقافتهم لتشمل العديد من العلوم والفنون، وإن غلبت عليه العلوم البلاغية والنقدية والنحوية، فإن ذلك ربما كان يرجع إلى غيرته الشديدة على قوميته العربية ولغتها وأدائها في عصر انفتحت فيه الحضارة العربية على كل العلوم والثقافات، وظهرت فيه ألوان من العلوم والفنون لم تألفها العرب من قبل.

ولد المبرّد بالبصرة، ولقب بالمبرّد قيل: لحسن وجهه، وقيل: لدقته وحسن جوابه، ونسبه بعضهم إلى البردة تهكما، وذلك غيرة وحسدا.

تلقى العلم في البصرة على يد عدد كبير من أعلام عصره في اللغة والأدب والنحو منهم: أبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي، وكان فقيها عالما بالنحو واللغة، وأبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني الذي وصفه "المبرّد" بأنه كان «أعلم الناس بالنحو بعد سيبويه»، كما تردد على الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، وسمع منه وروى عنه حتى عد من شيوخه، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني، وكان من كبار علماء عصره في اللغة والشعر والنحو، كما تلقى عن التوزي- أبو محمد عبد الله بن محمد، وكان من أعلم الناس بالشعر.

أقوال العلماء فيه:

وثقه العلماء وأصحاب الجرح والتعديل؛ فقال عنه الخطيب البغدادي: «كان عالما فاضلا موثوقا في الرواية». «وقال ابن كثير»: كان ثقة ثبتا فيما ينقله. «وقال القفطي»: كان أبو العباس محمد بن يزيد من العلم وغزارة الأدب، وكثرة الحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وملوكية المجالسة، وكرم العشرة، وبلاغة المكاتبة، وحلاوة المخاطبة، وجودة الخط، وصحة العزيمة، وقرب الإفهام، ووضوح الشرح، وعدوبة المنطق؛ على ما ليس عليه أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه. وقال ياقوت الحموي: كان إمام العربية، وشيخ أهل النحو ببغداد، وإليه انتهى علمها بعد الجرمي والمازني. وقال الزبيدي: كان بارعا في الأدب وكثرة الحفظ والفصاحة وجودة الخط.

مؤلفاته:

بالرغم من مكانة المبرد الأدبية والعلمية، وغزارة علمه واتساع معارفه، فإنه لم يصلنا من آثاره ومؤلفاته إلا عدد قليل منها:

1. الكامل في اللغة والأدب: وهو من الكتب الرائدة في فن الأدب، وقد طُبِعَ مرات عديدة، وشرحه "سيد بن علي المرصفي" في ثمانية أجزاء كبيرة بعنوان "رغبة الأمل في شرح الكامل".
2. الفاضل: وهو كتاب مختصر يقوم على أسلوب الاختيارات، ويعتمد على الطرائف وحسن الاختيار. نشر بتحقيق من عبد العزيز الميمني.
3. المقتضب: ويقع في ثلاثة أجزاء ضخمة، ويتناول كل موضوعات النحو والصرف بأسلوب واضح مدعم بالشواهد والأمثلة.
4. شرح لامية العرب.
5. ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد.
6. المذكر والمؤنث.

أهمية الكتاب:

يعد كتاب الكامل أصلاً من أصول علم الأدب وركناً من أركانه، وقد أقبل العلماء وطلاب الأدب على قراءته وإقراءه، ومنهم من شرحه ومنهم من علق عليه ونبه على أغلظه.

ويعد الكتاب من أواخر ما كتب المبرد، ومن أهم كتبه عامة لأنه حوى طائفة كبيرة من مختار الشعر والنثر والأخبار، وفيه الكثير من التفسيرات اللغوية، والآراء النحوية.

وذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته مفهوم علم الأدب وأصوله ثم قال: (وقد سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكتاب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى ذلك فتبع لها وفروع عنها. وقال القاضي الفاضل (طالعت سبعين مرة، وكل مرة أزداد منه فوائد).

منهج الكتاب ومباحثه:

- أبان المبرد عن موضوع كتابه ومنهجه في أول الكتاب بقوله: (هذا كتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف، ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة. والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب، أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً شافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً.
- وقد رتب المبرد كتابه على أبواب مختلفة ومتفرقة، بلغت تسعة وخمسين باباً؛ صدره بباب في الكلام عن قوله - ﷺ - «لأنصار: إنكم لتكثرثون عند الفزع وتقلون عند الطمع»، وختمه بباب عنوانه: من متنخل طريف الشعر وذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون.
- وتقسيم المبرد كتابه إلى أبواب لم يكن على نظام معين أو نسق مرتب -فيما يظهر-، والظاهر أن هذا الترتيب الذي لم يكن سياقه منظماً كان يقصد إليه قصداً في كتب الأدب تجنباً لإملاال السامع وراحةً لذهن القارئ. بيد أن هذا التقسيم حوى من الفوائد والآداب ما جعل هذا الكتاب متميزاً في بابه، وركناً من أركان الأدب وأصلاً من أصوله
- قيمة الكتاب:
- ذكر بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي شرحاً مجهول المؤلف في مكتبة إسماعيل أفندي في إسطنبول.
- وطبع كتاب (القرط على الكامل) لأبي الوليد القشبي (ت 489هـ) وابن السيد البطليوسي (ت 521هـ) في الباكستان بتحقيق ظهور أحمد أظهر سنة 1980.
- ونبه على أغلاطه الإمام علي بن حمزة اللغوي البصري (ت 375هـ) في كتابه (التنبيهات على أغاليط الرواة). نشره الشيخ عبد العزيز الميمني مع كتاب المقصور والممدود للفراء وأصدرته دار المعارف بمصر عام 1967.
- وشرحه الشيخ الدلجموني وطبع في القاهرة 1347.
- وهذبه السباعي بيومي في جزأين وطبع بالقاهرة 1923.

- واختار الدكتور حسين نصار نصوصاً من الكامل جمعها في كتاب سماه (المختار من كتاب الكامل) طبع بالقاهرة 2002.
- وشرحه الشيخ سيد بن علي المرصفي شرحاً سماه (رغبة الآمل من كتاب الكامل) في ثمانية مجلدات سنة 1928. وأبان المرصفي عن منهجه في الشرح بقوله في مقدمة الكتاب: "فأحببنا أن نبين للناس ما فيه، بحسن التنبيه، في شرح لطيف لا يمل مطالعه، ولا يسأم سامعه، وقد أسميته (رغبة الآمل من كتاب الكامل) مهتماً به ببيان ما حاد فيه أبو العباس عن سنن الصواب من خطأ في الرواية، وخطل في الدراية (ولا ينبئك مثل خبير). هذا وقد أردنا إذا ذكر أبو العباس شاهداً من شعر العرب أن نورد قصيدته مع ضبط كلماتها وبيان مهماتها، رغبة في الفائدة، وصلة العائدة وطبع الكتاب عدّة مرّات:
- طبعة المستشرق وليم رايت في ليزيغ في عشرة أجزاء بين أعوام (1864-1874).
- طبعة القسطنطينية 1869.
- طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، حقق منها الدكتور زكي مبارك جزءاً، وأتمها العلامة الشيخ المحدث أحمد محمد شاكر رحمه الله ثم صنع فهارسها الأستاذ سيد كيلاني 1933.
- طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة حققها الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم والأستاذ السيد شحاته 1956.
- طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت. بتحقيق د. محمد الدالي. 1986
- طبعة بتحقيق عبد الحميد هنداوي. طبعها وزارة الأوقاف السعودية عام 1998

نموذج من الكتاب: الكامل، 115/3

باب تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام، وجيد الشعر، وسائر الأمثال، ومأثور الأخبار، إن شاء الله.
الحجاج بن يوسف والوليد بن عبد الملك

كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكي، فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك، والحجاج حاضر، قال زياد بن عمرو: يا أمير المؤمنين، إن الحجاج سيفك الذي لا ينبو، وسهمك الذي لا يطيش، وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم؛ فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه.

المحاضرة رقم 09

البيان والتبيين للجاحظ

المؤلف:

الجاحظ هو من من كبار أئمة الأدب فهو إمام الأدباء في العصر العباسي الثاني، وهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي بالولاء الذي وُلد في البصرة سنة 159هـ بحسب بعض المؤرخين، وسُمِّي بالجاحظ لجحوظ عينيه، كما عمل جماًلاً عند عمرو بن قلع الكناني، ومن صفاته أنه كان حاد الذكاء، ذا جلدٍ وصرامةٍ وقدرةٍ على الكلام، وبديةٍ ورأيٍ جيّد، كما كانت له أساليب ومذاهب وآراء في الأدب واللغة خاصة به، ووضع طريقة بالإنشاء عُرفت باسمه، لذا اعتُبر قدوة المنشئين وإمامهم في ذلك العصر مثلما كان ابن المقفع إمامهم في العصر الأول

سُمِّي الجاحظ بهذا الاسم بسبب جحوظ عينيه ووجود نتوء واضحة في حدقتيه، ولذلك لُقِّب أيضاً بـ"الحدقي"؛ وهو لقب أقل ذيوعاً وشهرة من لقب "الجاحظ"، وقد كان لقب الجاحظ غير مرغوب بالنسبة له ويكره أن يُنادى به في البداية، لذلك كان يحب أن يدعو الناس باسمه "عمرو"، أو بكنيته "أبو عثمان" التي كان فخوراً بها، والتي استخدمها في كتبه، إلا أنه في سنّ الشيخوخة أطلق على نفسه لقب الجاحظ؛ لأنه أصبح لقب الشهرة بالنسبة له، وشرفاً عظيماً في الأدب العربي.

وتلقى الجاحظ العلم في البصرة، فقد حرص منذ صباه على التعلّم، فكان ذكياً، ومحباً للقراءة، وسريع الحفظ، بالإضافة إلى كونه فكاهياً، ويعدُّ الجاحظ من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، حيث ذاع صيته وذكره على نطاق كبير وواسع، كما كان يحب الكتب كثيراً، [٢] وما يدل على ذلك، أنه كان يستأجر أماكن ودكاكين الوراقين من أجل أن يقرأ كتبها، فلم يكن يترك كتاباً من دون أن يستوفي النظر فيه وقراءته وفهمه، وكان لا يرى إلا ويبيده كتاباً ينظر فيه أو يقلّب ثانياً صفحاته. ومن مؤلفات الجاحظ وكتبه العظيمة التي يستفيد وينهل من ينبوعها مختلف القراء والدارسين الآتي: البيان والتبيين، سحر البيان، التاج، البخلاء، اللصوص، الوعيد، الإخوان، الكبر المستحسن والمستقبح، الأمثال، التفاح، رسالته في القلم، دلائل النبوة، فضائل الأتراك، الفرق بين النبيّ والمنتبي، الربيع والخريف، النساء، وغيرها.

نزعة الجاحظ العقلية: امتازت مدينة البصرة في العصر العباسي بنزعتها العقلية في مختلف الميادين، والتي قامت على تحكيم العقل في الأمور مثل أسطورة أو قول مأثور أو عقيدة أو حتى حقيقة، وتقبّل ما قد يصل إليه العقل حتى وإن خالف هذا ظنه أو اعتقاده، وكان من الطبيعي أن يتأثر الجاحظ بهذه النزعة خاصة مع قابليته الطبيعية المهيئة لذلك نتيجة للظروف البيئية التي عاشها، فقد كان كثير المطالعة والقراءة، محباً للاطلاع على كل علم، فلم يكن يقع بين يديه كتاب إلا قرأه منهج الكتاب ومباحثه:

تناول الجاحظ في هذا الكتاب موضوعات متفرقة، مثل علم الأدب والبيان، وفنّ القول، ووجوه البلاغة والفصاحة، وأفات اللسان، وميّز بين عيوب الناس في النطق مثل اللثغة واللكنة والحصر والعيب، كما خصص باباً واسعاً للخطابة لأنّها كانت في عصره رمزاً للفصاحة والبلاغة، وطريقة من طرائق الجدل وعلم الكلام، فتحدث الجاحظ عن أصولها وقواعدها وذكر شيوخها وأعلامها، ووضّح عيوبها ودعا إلى تجنبها وذكر صفات الخطيب الناجح، كما تناول الكثير من نماذج الشعر والحكم والأقوال، وقام بتحليل ونقد بعض المقطوعات الشعرية، وذكر أيضاً بعض القضايا النقدية التي كانت

موجودة على أيامه، كثنائية اللفظ والمعنى، والقديم والحديث والسرقات، والمذهب البديعي، وتعرض أيضاً إلى القصص والأخبار والرواية، كأخبار الشعراء والخطباء والقصاص وغيرهم، وقد جمع الجاحظ في تصانيف كتابه بين الجد والهزل، وملاه بروح الدعابة والفكاهة، مما جعله مميّزاً ونادراً

نموذج من الكتاب: البيان والتبيين، 215/1.

باب من الخطب القصار من خطب السلف، ومواعظ من مواعظ النساك، وتأديب من تأديب العلماء قال رجل لأبي هريرة النحوي: أريد أن أتعلّم العلم وأخاف أن أضيّعه. فقال: «كفى بترك العلم إضاعة». وسمع الأحنف رجلاً يقول: «التعلم في الصغر كالنقش في الحجر». فقال الأحنف: «الكبير أكبر عقلاً، ولكنه أشغل قلباً». وقال أبو الدرداء: ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون. وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا». قالوا: ولذلك قال عبد الله بن عباس رحمه الله، حين دلّى زيد بن ثابت في القبر، رحمه الله: «من سرّه أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر، فهكذا ذهابه»

المحاضرة رقم 10

الشعر والشعراء لابن قتيبة

المؤلف:

أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي، مولده بها، وإنما سمي الدينوري لأنه كان قاضي الدينور، وكان ابن قتيبة يغلو في البصريين، إلا أنه خلط المذهبين وحكى في مذهبه عن الكوفيين [1].

وكان صادقاً فيما يرويّه، عالماً باللغة والنحو وغريب القرآن ومعانيه والشعر والفقه، كثير التصنيف والتأليف، وكتبه بالجبل مرغوب فيها، ومولده في مستهل رجب، وتوفي سنة سبعين ومائتين. وله من الكتب:

- 1- كتاب معاني الشعر، ويحتوي على اثني عشر كتاباً، منها: كتاب الفرس ستة وأربعون باباً، كتاب الإبل ستة عشر باباً، كتاب الحرب عشرة أبواب، كتاب العرور عشرون باباً، كتاب الديار عشرة أبواب، كتاب الرياح أحد وثلاثون باباً، كتاب السباع والوحوش سبعة عشر باباً، كتاب الهوام أربعة عشر باباً، كتاب الأيمان والدواهي سبعة أبواب، كتاب النساء والغزل باب واحد، كتاب النسب واللبن ثمانية أبواب، كتاب تصحيف العلماء باب واحد.
 - 2- كتاب عيون الشعر، ويحتوي على عشرة كتب، منها: كتاب المراتب، كتاب القلائد، كتاب المحاسن، كتاب المشاهد، كتاب الشواهد، كتاب الجواهر، كتاب المراكب.
 - 3- كتاب عيون الأخبار، ويحتوي على عشرة كتب: كتاب السلطان، كتاب الحرب، كتاب السؤدد، كتاب الطبائع، كتاب العلم، كتاب الزهد، كتاب الإخوان، كتاب الحوائج، كتاب الطعام، كتاب النساء.
 - 4- كتاب التفقيه، 5- كتاب الحكاية والمحكي، 6- كتاب أدب الكاتب، 7- كتاب الشعر والشعراء، 8- كتاب الخيل، 9- كتاب جامع النحو، 10- كتاب مختلف الحديث، 11- كتاب إعراب القرآن، 12- كتاب ديوان الكتاب، 13- كتاب فرائد الدرر، 14- كتاب خلق الإنسان، 15- كتاب القراءات، 16- كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر، 17- كتاب التسوية بين العرب والعجم، 18- كتاب الأنواء، 19- كتاب المشكل، 20- كتاب دلائل النبوة، 21- كتاب اختلاف تأويل الحديث، 22- كتاب المعارف، 23- كتاب جامع الفقه، 24- كتاب إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث، 25- كتاب المسائل والجوابات، 26- كتاب العلم، نحو خمسين ورقة، 27- كتاب الميسر والقдах، 28- كتاب حكم الأمثال، 29- كتاب الأشربة، 30- كتاب جامع النحو الصغير، 31- كتاب الرد على المشبهة، 32- كتاب آداب العشرة، 33- كتاب غريب الحديث.
- (وقال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي) في «تاريخ بغداد» (ج 10 ص 170-171): «عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الكاتب الدينوري، وقيل المروزي. سكن بغداد، وحدّث بها عن إسحق بن راهويه، ومحمد ابن زياد الزيادي، وأبي الخطاب زياد بن يحيى الحساني، وأبي حاتم السجستاني.

سكن ابن قتيبة بغداد وروى فيها كتبه إلى حين وفاته. وقيل إن أباه مروزي وأما هو فمولده بغداد، وأقام بالدينور مدة فنسب إليها. قرأت على الحسن بن أبي بكر عن أحمد بن كامل القاضي قال: ومات عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري في ذى القعدة سنة ستّ وسبعين ومائتين. منهج الكتاب ومباحثه:

الشُّعْر والشُّعْرَاء من أقدم الكتب التي صُنِّفَتْ في تراجم الشعراء. ألفه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (الدينوري) ت 276 هـ ، 889م) أحد أئمة القرن الثالث الهجري. وهو من طبقة الجاحظ عند المعتزلة، إمام متمكن متعدد جوانب التأليف كثير المؤلفات. وكتاب الشعر والشعراء من أهم الكتب التي ترجمت للشعراء. ويُعدُّ مصدرًا أصيلاً ومرجعًا هامًا في بابهِ. وهو كبير الشَّبه بكتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي. لم يحرص ابن قتيبة، في هذا الكتاب، على استيفاء الشعراء وحصْرهم وتقصِّي سيرهم، بل اقتصر على المشاهير منهم. قال في مقدمة الكتاب: "وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ أهل الأدب والذين يصح الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عزّ وجلّ، وحديث رسول الله ﷺ". كذلك لم يعتمد ابن قتيبة إلى تصنيف الشعراء في طبقات كما فعل غيره، وإنما كان همه الترجمة وجمع أخبار الشعراء واختيار طائفة من أشعارهم يسوقها تمثيلاً أو بمناسبةاتها. وقد كان يراعي الترتيب الزمني في تناول الشعراء، وكان معظم أصحاب تراجمه من القدماء، إلا أنه لم يُخله من تراجم بعض المحدثين كأبي العتاهية ومسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف ومن في حكمهم.

وقد امتاز الكتاب بمقدمة نقدية قيمة يعدُّها الباحثون من بواكير النقد الأدبي المصحوب بالعلل. وقد بيّن فيها منهج الكتاب والغرض من تأليفه حيث يقول: "هذا كتاب ألّفته في الشعر، أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، وعمّا يستحسن من أخبار الرجل ويستجد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم أو معانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذته عنهم المتأخرون. وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته، وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها..."

والكتاب كثير الشعراء غزير النصوص، تضمّن 206 ترجمة، بدأها بامرئ القيس وأطال القول فيه؛ لاستفاضة أخباره عندهم ولتقديمهم له على الشعراء. ثم ترجم لزهير وابنه كعب ثم النابغة ثم الذي يليه حتى بلغ ابن مناذر ثم ختم كتابه بالحديث عن أشجع السلمي في العصر العباسي. وهذا الكتاب يعدّ كتابًا في المختارات الشعرية وكتابًا في النقد بالإضافة إلى كونه كتابًا في تراجم الشعراء

نموذج من الكتاب: الشعر والشعراء، 217/1.

الأفوه الأودي

هو صلاءة بن عمرو، من مذحج، ويكنى أبا ربيعة، وهو القائل:
لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهّالهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأى ما صلحت ... فإن تولّت فبالأشرار تنقاد
ومن جيّد شعره قوله:

إنّما نعمة قوم متعة ... وحياة المرء ثوب مستعار
حتم الدهر علينا أنّه ... ظلّف ما نال منّا وجبار
ظلّف: باطل. وجبار: هدر.

وهذه القصيدة من جيّد شعر العرب، أوّلها:
إن ترى رأسى فيه نزع ... وشواى خلّة فيها دوار

المحاضرة رقم 11

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني

المؤلف:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، نسبة إلى جرجان، المدينة الفارسية العريقة التي تقع بين طبرستان وخراسان. ينتسب إليها عدد وافر من رجال العلم والأدب والفقه والحديث، عدّ منهم عمر رضا كحالة خمسة وثلاثين، منهم الفقيه والقاضي والشاعر المحدّث والمؤرخ ..

وتمتاز هذه المدينة بشدة بردها وحرّها، لكن أهلها موصوفون بالوقار والمروءة واليسار والتأني والأخلاق المحمودة. وصفها ياقوت فقال:

هي مدينة حسنة على واد عظيم في ثغور بلدان السهل والجبل والبر والبحر، بها الزيتون والنخل والجوز والرمان وقصب السكر و"الأترج".

ومع ذلك فقد ذمّها صاحب ابن عبّاد قائلاً:

نحنُ والله من هوائك يا جر ... جانُ في خطّةٍ وكربٍ شديد

حرّها يُنضجُ الجلودَ فإن هبّ ... ت شمّالاً تكّدرتْ برُكودِ

كحبيبٍ منافقٍ كلّما هـ ... مّ بوصولٍ أحالهُ بالصدودِ

لم يذكر المؤرخون شيئاً عن طفولته وأسرته ونشأته، وكثير من أمور حياته، حتى نَسبُهُ توقّف لديهم، عند جدّه (محمد). ولم يتوغلوا قيد أنملة فوق ذلك ضارين صفحاً عن كل ما يمت إلى علم مثله، من إحاطة بيئته وأسرته، وتعلّمه وتنقله، وأساتذته وتلاميذه، وشؤون كثيرة تتعلق به من قريب أو بعيد. ويتلخص ما جاء في مصادر ترجمته أنه: أشعري، شافعي، نحوي، بيانيّ متكلمٌ فقيه، مفسّر، شاعر وزاد بعضهم: "كان .. ذا نُسكٍ ودين، قال السّلفي: (أحمد بن محمد السّلفي، الحافظ المحدث المتوفى سنة 576 هـ / 1180م) كان ورعاً قانعاً. دخل عليه لصٌ وهو يُصليّ، فأخذ ما وجد، وهو ينظر، وهو في الصلاة فما قطعها، وكان آيةً في النحو".

ويُعدُّ كتاب "دمية القصر وعصرة أهل العصر" لأبي الحسن علي بن الحسن الباخري المتوفى سنة 467 هـ أقرب ما يكون لعصره وحياته وبيئته .. ومع ذلك لم يزد في ترجمته له على خمس صفحات، عدد السطور التي خصّه فيها بتعريف وتكريم: تسعة سطور، والباقي منتخبات من شعره الذي لا يزال مخطوطاً.

ومما جاء فيه:

"اتّفقتُ على إمامته الألسنة، وتجمّلتُ بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة، وأثنى عليه طيبُ العناصر، وثنيتُ به عقودُ الخناصر، فهو فردٌ في علمه الغزير، لا بل هو العلمُ والفردُ في الأئمة المشاهير".

هذا جلٌّ ما جاء في مصادر ترجمته، ومعظمها يقتفي أثر الآخر، ولا تكاد تحظى بكلمة واحدة تضيء ظلمة حياته الغابرة.

وأما عن تاريخ مولده، فهو مستنتج استنتاجاً ولم يعينه أحد إلا على سبيل الترجيح، لكنهم اتفقوا أن وفاته كانت سنة 471 هـ / 1078 م وقيل سنة 474 هـ. ورُجِحَ أن يكون مولده سنة 400 هـ / 1010 م. منهج الكتاب ومباحثه:

إنَّ كتاب "دلائل الإعجاز" الذي نشره اليوم، هو صنو كتاب "أسرار البلاغة" الذي نشرناه في أول العام الماضي (عام 1320 هـ). وقد صدَّرتُ ذلك الكتاب، بمقدمة بيَّنتُ فيها حقيقة معنى اللغة ومعنى "البيان" فيها، ومكانة ذلك الكتاب من البيان وعلمه، ومن سائر كتبه، مع الإمام بشيء من تاريخ البلاغة أثبتُ فيه أن الإمام الشيخ عبد القاهر الجرجاني هو مؤسسُ علمي البلاغة، ومقيم ركنيها "المعاني والبيان" بكتابه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز. وأنَّ السكاكيَّ ومنَّ دونه من علماء هذا الشأن عيالٌ عليه؛ وذكرتُ ثمةً أنني لما هاجرتُ إلى مصر لإنشاء مجلة "المنار" الإسلامي في سنة 1315 هـ، وجدت الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، رئيسَ جمعية إحياء العلوم العربية، ومفتي الديار المصرية، مشغلاً بتصحيح كتاب "دلائل الإعجاز" وقد استحضرَ نسخةً من المدينة المنورة، ومن بغداد، ليقابلها على النسخة التي عنده.

والناظر في موضوعات "دلائل الإعجاز" التي ضمَّها فهرسته المنشور في الصفحات الأولى منه، ينتابه شعور بأنَّ صاحب الكتاب، تفجرتُ عنده ينابيع المعرفة، فسلكتُ به شتى الدرس البلاغي الذي راح يلقيه على قرّاء زمانه، من طلبة وعلماء تفاوتت مداركهم وقدراتهم بين المتقبل المتذوق، والدعي الغبي، فأفرغَ جُلَّ ما توصل إليه من حقائق ومعلومات صاغها بمنطق المحاضر الموسوعي، لا يسعه الانضواء في موضوع واحد، بل يلتفت إلى هذا الجانب وذاك، وإلى هذا الباب، وهذا الميدان، من أبواب الفكر البلاغي وميادينه المترامية الأطراف.

فعلى الرغم من كون الكتاب قد وضع لتأسيس علم المعاني، وما يقتضيه من مسائل محددة توافق عليها العلماء والدارسون، فإننا أمام سلسلة أو خليط من الموضوعات التي تداخلت وتفرعت، أو اتَّسقتُ وافترقت - ولا نقول: ائتلفتُ واختلفت - لأنها في تضامها، تؤلِّف الأفق البلاغي الواسع لما سمَّاه: علم المعاني، مفتوحاً على علمي البيان والبديع اللذين لم يستقلَّ عن العلم الأول، إلا في نطاق الاصطلاح والتحديد المتأخرين مع السكاكيَّ أو القزويني، ومن تبعهما وعاصرهما من علماء البلاغة.

- وإن أردتُ محاسبة المؤلف بالمنظور العلمي المختص، وقعتُ على نسبة ملحوظةٍ من الخروج على الموضوع بسبب عدد غير يسير من الموضوعات التي طرحها وعالجها داخل موضوعات الأبواب والفصول المختصة، وأعني بها تلك التي ترتبط مباشرة بعلم المعاني، كما يتبيّن لمن تابع معي أهم موضوعات الكتاب وفقاً لتسلسلها، وهي على التوالي:
- * الكلام في الشعر: روايته وحفظه وذمُّ علمه.
 - * الكلام في النحو.
 - * كلام تمهيدي في الفصاحة والبلاغة.
 - * كلام في المجاز وفروعه ووجوهه.
 - * نظم الكلام وعلاقته بالنحو والبلاغة، وما يستلزم من معرفة التقديم والتأخير والإسناد والاستفهام والخبر والنكرة.
 - * موضوعة الحذف: مواضعة وأنواعه، بلاغته.
 - * كلام ثانٍ في الخبر بين التعريف والتنكير، والإثبات والنفي.
 - * كلام في الحال ودور واو الحال.
 - * الفصل والوصل
 - * باب اللفظ والنظم، متداخل فيه: المجازُ الحُكْمِي، والكناية والتعريض.
 - * القصر والاختصاص: إنما، ما وإلّا.
 - * فصول أخرى في اللفظ والنظم، متداخل فيه: الحقيقة والمجاز.
 - * القول المبسّط والموسّع في الإعجاز والفصاحة والبلاغة.
 - * حقيقة الإعجاز ومعامله ووجوهه. متداخل فيه: غريب الكلام، وفساد الذوق، الفصاحة والنحو، الاستعارة: وجوهها وأنواعها وسمُّو المعنى فيها.
 - * الاحتذاء والأخذ والسرقعة في الشعر.
 - * الموازنة بين المعنى المتحدٍ في اللفظ المتعدد (في شعر البلغاء).
 - * السجع والتجنيس المتكلفان وذمُّهما.
 - * متعلّقات الفعل ومتغيرات معاني الجمل.
 - * إدراك البلاغة وتحقيقها في الذوق والإحساس الروحاني.

نموذج من الكتاب: دلائل الإعجاز (شاكر)، 1/249

باب اللفظ والنظم:

هذه فصول شتى في أمر "اللفظ" و "النظم" فيها فضل شحد للبصيرة، وزيادة كشف عما فيها من

السريرة

فصل:

غلط منكر في شأن البلاغة، والرد عليه:

- وغلطُ الناسِ في هذا البابِ كثيرٌ. فمن ذلك أنك تجد كثيراً ممن يتكلم في شأن البلاغة، إذا ذكر أن للعرب الفضلَ والمزيةَ في حسنِ النظمِ والتأليفِ، وأن لها في ذلك شأواً لا يبلغه الدخلاء في كلامهم والمولّدون، جعلَ يُعلّل ذلك بأن يقول: "لا غرور، فإنّ اللغّة لها بالطّبع ولنا بالتكلف، ولن يبلغ الدخيل في اللغات والأنسة مبلغَ مَنْ نشأ عليها، وبُدئ من أولِ خلقه بها"، وأشباهِ هذا مما يُوهّم أنّ المزيّة أتتها من جانبِ العلمِ باللغّة. وهو خطأٌ عظيمٌ وغلطٌ منكرٌ يُفضي بقائله إلى رفعِ الإعجازِ من حيث لا يعلم. وذلك أنه لا يثبتُ إعجازٌ حتى تثبتَ مزايا تفوقُ علومَ البشرِ، وتقصُرُ قوى نظريهم عنها، ومعلومات ليس في متن أفكارهم وخواطرهم أن تقضي بهم إليها، وأن تُطلِعهم عليها، وذلك محالٌ فيما كان علماً باللغّة، لأنّه يودّي إلى أن يحدث في دلائل اللغّة ما لم يتواضع عليه أهلُ اللغّة. وذلك ما لا يخفى امتناعه على عاقلٍ.